

**الملتقى الدولي: الإساءة إلى المقدسات الإسلامية بين سياقات حرية
التعبير وخطاب الكراهية 29/28 ديسمبر 2021**

مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة، الأغواط، الجزائر

**ازدواجية الخطاب الإعلامي الغربي تجاه ظاهرة الإساءة للمقدسات
الإسلامية**

- تحقيق الإشباع النفسي للخصم وإعادة تسويق الإسلاموفوبيا-

Media discourse on the phenomenon of insulting Islamic sanctities
-Achieving psychological gratification of the opponent and re-
marketing Islamophobia-

ليلى مدور¹، نوال بوت²

¹ جامعة الحاج لخضر، باتنة 01، الجزائر leila.meddour@univ-batna.dz

² جامعة الحاج لخضر، باتنة 01، الجزائر boutanl@hotmail.com

تاريخ الإرسال: 2022/05/14 تاريخ القبول: 2022/09/06 تاريخ النشر: 2022/10/01

الملخص:

في سبيل المتابعة التاريخية لظاهرة الإساءة لمقدسات الدين الإسلامي من طرف الغرب، وفي سبيل تأطير هذه الإساءة ظهر الإعلام الذي تبني منظومة هجومية معنوية ناعمة تستهدف الدين الإسلامي في عقر دارها، بتبني مضامين ونماذج وتصورات جديدة في مسار تكنولوجيا حاضن لها، سمح هذا الأخير لوسائل الإعلام الغربي بالتقوت من تتبع تفاصيل الدين الإسلامي لتحويله، في دوائر إعلامية اكتسبت من فحوى هذه الإساءة نضالا مشروعا خاضعا لسطوة الخطاب المدمج بالأسلحة الناعمة، وفي فضاء مزدحم بالازدواجية والتناقضات، مهياً مسبقاً - تاريخياً، دينياً، نفسياً- لتطويع نفس الخصم، وإحداث اضطراب في الذهن، وتوليد تناقض في المشاعر، والحيرة

والتردد وتحاذل من الداخل، مسوقا لحملات الإساءة في صور وأشكال منحوتة لا يستوعبها إلا تركيب اصطلاحى مدروس أيديولوجيا يتمثل في الإسلاموفوبيا.

إن هذا الحديث دفعنا كباحثين مهتمين بالموضوع بتقديم مداخلة تركز على ازدواجية الخطاب الإعلامى الغربى تجاه ظاهرة الإساءة للمقدسات الإسلامية - تحقيق الإشباع النفسى للخصم وإعادة تسويق الإسلاموفوبيا.

الكلمات المفتاحية: ازدواجية الخطاب الإعلامى الغربى، الإساءة للمقدسات الإسلامية، تحقيق الإشباع النفسى للخصم، إعادة تسويق الإسلاموفوبيا.

Abstract:

For the sake of historical follow-up of the phenomenon of insulting the sanctities of the Islamic religion on the part of the West, and in order to frame this abuse, the media appeared that adopted a soft moral offensive system targeting the Islamic religion in its backyard,

By adopting new contents, models and perceptions in a technological path that incubates them, the latter has allowed the Western media to be reluctant to follow the details of the Islamic religion in order to alter it, in media circles that acquired from the content of this abuse a legitimate struggle subject to the power of a discourse armed with soft weapons, and in a space crowded with duality and contradictions, prepared in advance. - Historically, religiously, psychologically - to subdue the same opponent, cause disturbance in the mind, generate contradictions in feelings, confusion, indecision and lethargy from within, marketing offensive campaigns in sculpted images and forms that only an ideologically studied and idiomatic combination of Islamophobia can absorb. This hadith prompted us, as two researchers interested in the subject, to

present an intervention focusing on the duplication of Western media discourse towards the phenomenon of insulting Islamic sanctities- achieving psychological satisfaction of the opponent and re-marketing Islamophobia.

Keywords: duplication of Western media discourse, insulting Islamic sanctities, achieving psychological satisfaction of opponents, re-marketing Islamophobia.

مقدمة:

الحمد لله، نشهد أن لا إله إلا الله ونشهد أن محمدًا رسول الله، يقول الله تعالى في كتابه العزيز: "وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَنَا هُمْ نَصَرْنَا وَلَا مُبَدِّل لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۖ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبِيِّ الْمُرْسَلِينَ (34)¹.

أمام التغيرات التي يشهدها العالم اليوم بفضل الثورة التكنولوجية والمعلوماتية وظهور مؤشرات وتحولات "الجيو-استراتيجية"، تمهيدا لتشكيل عالم جديد جغرافيا سياسيا، اقتصاديا، اجتماعيا ودينيا، حدثت نقلة نوعية لوسائل الإعلام "القوة الناعمة"-خاصة الغربية منها- بإعادة جدولة خطاباتها التي أصبحت أداة فاعلة في ظل الهيمنة الكولونيالية، تمخض عن ذلك ما يسمى ب "الظاهرة الإعلامية" التي جعلت من الألفية التي نعيشها إعلامية بامتياز، "فمع كبسة زر تجد العالم حاضرا بين يديك، فلم يعد عفريت علي بابا وحده من يدور بك في فلك الأمنيات الوهمية للواقع، فقد تولى الأب الثالث عمله- ولا أقول مسؤوليته- ببراعة"².

إنه الإعلام بخيوطه العنكبوتية التي يتزايد عددها بوتيرة متسارعة، متوسمة خطابات وأطروحات تتماشى والهدف المراد تحقيقه، وقد قال ذات يوم العالم مار يشال ماكلوهان (Herbert Marshall Macluhan): "إن هذا العالم أصبح قرية واحدة تسمع كل أخبارها ولا تخفى منها خافية".

وبحكم أسبقية الإعلام الغربي في التحكم في الظاهرة الإعلامية بحكم تحصيله للتطور التكنولوجي، كان له الأولوية في امتلاك تأشيرة وضع حجر الأساس لأبجديات سخرت لمباركة هذه الظاهرة بمضامين خطائية مؤثرة، بحكم احترافيتها في الإعداد والتخطيط والنقل، مروضة للحقائق

ومغيرة للمواقف وفقا لأيديولوجيتها، موجهة لمدارك الأفراد، مسوقة لها بخلفيات صنفها خبراء التكنولوجيا بأنها الأكثر قبولية لعقول الشعوب، حيث يقول لينين (Vladimir Ilych Ulyanov Lenin) في هذا الشأن " إن الكذب في كثير من الأحيان يصبح الحقيقة بعينها".

وقد طرح المصطلح الجديد "القرية الكونية" للكاتب مار يشال ماكلوهان ما يسمى بالخطاب المزدوج، الذي يعتبر أحد الأسلحة الهجومية الفتاكة التي يتبناها الإعلام الغربي في الوقت الحاضر، حتى صار التحكم في محتوى الخطاب الإعلامي على درجة كبيرة من الأهمية، لتسوغ على إثره ممارسة ازدواجية قد تكون واضحة أو ضمنية في التعامل مع القضايا، من خلال تطبيع الخطاب الإعلامي، والابتعاد عن الحقيقة في مقاربتها للأحداث، فيتبلور ذلك الخطاب الذي يتلاءم والهدف منه، " بالتعمد أو إخفاء أو عكس معنى الكلمات، ورغم غموض مصطلح الازدواجية كمصطلح مستقبلي ذكر في رواية جورج أور ويل Orwell George عام 1984م على شكل تفكير مزدوج، أو حديث مزدوج، إلا أنه من الواضح أن الحديث المزدوج هي نسخة عدوانية من نشاط لغوي مدمر اجتماعيا كما وصفه كونفوشيوس قبل 2500 سنة خلت"³.

إن تبني الازدواجية من طرف الإعلام الغربي في خطاباته، دفعت في كثير من الأحيان إلى أجواء من الصدمات اللامتناهية، بل العمل على تأصيلها وتأكيداها "الفوضى الخلاقة".

وقد انطلق الأستاذ المعروف في جامعة هارفارد Harvard Université صامويل هنتنجتون (Samuel Phillips Huntington) بنشر مقال بمجلة الشؤون الخارجية التي تعتبر من أرقى المجلات العلمية في الولايات المتحدة الأمريكية بحتمية المواجهة بين الغرب والعالم الإسلامي في ما أسماه بـ " صدام الحضارات"⁴.

من هنا تبلورت فكرة مركزية تحوي جدلية الغرب والإسلام، رسخت فكرة الإسلام العدو المركزي للغرب المهووس بالسيطرة والهيمنة المدججة بالخطاب الإعلامي المزدوج، الذي ما فتئ يقوم بمغامرات استكشافية تستهدف جزيئات وتفاصيل الدين الإسلامي ومقدساته، من أجل تحويره وخلخته.

وفي ظل المناخ العدائي الغربي للدين الإسلامي وبلوغ خطابات الإعلام الغربي ذروتها في الآونة الأخيرة، بشكل متناغم ومتناسق مع قوى الحقد الغربي المتعددة، تتم الإساءة للمقدسات

الإسلامية بين الحين والآخر، إذ تنطلق فيه همجية الإعلام الغربي في خطابه المزدوجة لإساءات جديدة ضد هذه المقدسات من انتهاك حرمة كتاب الله "القرآن" وتدنيه وحرقه، إلى التعرض لأفضل خلق الله نبينا محمد ﷺ برسومات كاريكاتورية ساخرة، إلى الاستهانة بشعائر الدين الإسلامي كالصلاة والصيام وارتداء المرأة للحجاب، ...الخ.

من البلاءة إذن القفز على دلالات المصطلحات في الخطابات، وبقاء المسألة حبيسة الفكر المنتجوني "الفكر التصادمي" أو مؤرخ الأفكار صامويل هنتجتون، ولا عبارات رينو كامو (Renaud Camus) صاحب نظرية "الاستبدال الكبير"، ولا مؤامرات الزعيم السياسي والقائد العسكري نابليون بونابرت (Napoléon Bonaparte)، ولا بطولات الإعلام الغربي في اختراع الأكاذيب الحقيقية، إذ لا بد من طرح لا يضع الفرد أمام عتبة المشكلة فحسب بل يمنحه حيثيات الفهم والتقييم والتوجيه الدقيق، حتى لا تسود الضبابية وتوضع العشاوات على الأعين عن دلالات خطاب الإعلام الغربي تجاه الإساءة للمقدسات الإسلامية وتجلياته العملية بعيدا عن العقلانية والتمحيص، وما المخاوف من مسألة تحقيق الإشباع النفسي للخصم وإعادة تسويق الإسلاموفوبيا إلا دليل على ذلك.

وتأسيسا على ما سبق كان لنا هذا المقام لطرح موضوع ازدواجية الخطاب الإعلامي الغربي تجاه ظاهرة الإساءة للمقدسات الإسلامية - تحقيق الإشباع النفسي للخصم وإعادة تسويق الإسلاموفوبيا-، وذلك من خلال الوقوف على مجموعة من المطالب إماما بالموضوع وإعطائه حقه من الشرح والتحليل، ومن بين هذه المطالب:

- 1- تحديد الإطار المفاهيمي للبحث (تحديد مفاهيم البحث).
 - 2- تقديم رؤية لماهية الإعلام الغربي (التطرق للطبيعة الازدواجية في الخطاب).
 - 3- ازدواجية الخطاب الإعلامي الغربي تجاه الإسلام ومقدساته.
 - 4- استراتيجيات ممارسة الازدواجية في الخطاب الإعلامي الغربي تجاه ظاهرة الإساءة للمقدسات الإسلامية.
 - 5- أهداف ازدواجية الخطاب الإعلامي الغربي تجاه ظاهرة الإساءة للمقدسات الإسلامية:
- تحقيق الإشباع النفسي للخصم (المسلم).

● إعادة تسويق الإسلاموفوبيا.

1- الإطار المفاهيمي للبحث:

ونحن في زمن العولمة تشهد بعض المفاهيم والمصطلحات تداخلات فيما بينها، خاصة مع تعدد اللغات على الصعيد العالمي، حيث أصبح من الصعب تحديد المفهوم والمصطلح تحديدا دقيقا خاصة مع تعدد التوجهات والخلفيات التي يتبناها كل باحث في تحديد المفهوم والمصطلح.

1-1- ازدواجية الخطاب الإعلامي الغربي أشار ابن منظور في لسان العرب إلى أن المزاوجة والازدواج بمعنى واحد، وازدوج الكلام وتزاج: أشبه بعضه في السجع والوزن، وتزاج القوم وازدوجوا بمعنى تزوج بعضهم بعضا⁵.

إن مفهوم الازدواجية يختلف من باحث إلى آخر، فهناك من يعتبرها إتقان جزئي للغة أجنبية؛ بمعنى هيمنة اللغة الأم على لغة ثانية، واللغة الثانية هي تلك اللغة التي يستعملها الإنسان في إطار مدرسي على الخصوص⁶.

أما مصطلح الخطاب فهو مأخوذ من المصطلح اللاتيني discourse المكون من course + dis، وتأتي فيها كلمة dis باللغة الإنجليزية إضافة مبدئية تدخل على بعض الكلمات لتُغيّر أو تُحرّف معناها للنقيض عادةً؛ فمثلاً، كلمة believe إيمان، وكلمة disbelieve كفر، وأيضاً كلمة infect يُعدي، وكلمة disinfect يُطهر أو يزيل العدوى. أما كلمة course فتعني "مجرى" أو "اتجاه"، وعند إدخال كلمة dis- عليها تُصبح "تغيير مجرى" لا يكون الاتجاه فيه ثابتاً، بل يغدو شبكة من الاتجاهات التي تتداخل ببعضها البعض، هذا الإيحاء الفلسفي لن تحدّه ضمن معاني كلمة discourse اللغوية الشائعة؛ خاصة أن كثيرين سيعتبرون أن dis- ليست إضافة مبدئية في هذه الكلمة، وإنما من أصل الكلمة، كما أنّ المعنى الشائع للكلمة هو "كلام" أو "قول". وبهذا يغدو الخطاب سيل من الأجندات اللغوية المتداخلة، والتي تغير مجراها على شكل شبكة لا بداية ولا نهاية لها، ولا يجري في خطّ مستقيم أبداً⁷.

ويذهب فوكو إلى أنّ الخطاب مساحة ذات حدود قوية من المعرفة الاجتماعية؛ ونظام من القول يمكن من خلاله معرفة العالم، المظهر الأساسي فيه هو أن العالم ليس "هناك" ببساطة حتى

يمكن الحديث عنه؛ وإنما من خلال الخطاب نفسه يصبح للعالم كينونة، ويمكن للمتكلمين والسامعين والكتّاب والقراء من فهم أنفسهم وعلاقاتهم ببعضهم، ومكانهم في العالم، وهذا ما يعرف ببناء الذاتية/الفاعلية ومجتمع العلامات التي تنظم الوجود الاجتماعي وإعادة الإنتاج المجتمعي الذي تعدّ قانوناً لما يمكن أن يقال وما لا يقال، ويشكّل طبيعة الخطاب⁸.

أما الإعلام فقد جاء في لسان العرب "أن أصل الإعلام من مادة علم، والعلم نقيض الجهل، علم، علماً، وعلم هو نفسه، ورجل عالم وعليم من قوم علماء"⁹.

ورغم أن مفهوم الإعلام قديم النشأة، إلا أنه اليوم ومع التطور التكنولوجي أصبح يضم عدة وسائل وأدوات تستهدف الرأي العام، "فالإعلام هو نشر الحقائق والأخبار الصادقة خدمة للصالح العام، وأن هذه العملية تتسم بالأمانة والموضوعية، وهدفها النمو واليقظة والتوافق الثقافي والحضاري، والارتقاء بمستوى الرأي العام وتنويره وثقافته"¹⁰.

والإعلام الغربي هو الإعلام الأجنبي الذي يزود شعوب العالم بمختلف المعلومات في مختلف الميادين، إذ يعتبر أحد الوسائل الفعالة للتأثير على الرأي العام وتوجيهه نحو القضايا الدولية والمحلية، مع ما يمارسه من تأثير في عقول ونفوس المجتمعات خاصة المجتمعات النامية.

والازدواجية في الخطاب الإعلامي الغربي مصطلح جديد يقصد به التناقض والانحراف في الأقوال بعيداً عن الحقيقة، بحيث يصبح قادراً على خلق أزمات وتوترات إقليمية وعالمية وفقاً لمعايير يتبناها في ذلك، وباعتباره الأقوى إعلامياً فهو "لا يكتفي بتغيب وعي الشعوب وتضليلها بنزع الحقائق وطمسها، وإحلال مزاعمها وأباطيلها محلها لتصبح مع كثرة تداولها من المسلمات التي لا يعتربها الشك، بل يحقق بذلك هدفاً خبيثاً آخر يتمثل في تفكيك العلاقات الدلالية والرمزية للغة، بغية إشاعة الفوضى في قوانينها حتى يسهل القضاء عليها كأساس لوجود الأمة"¹¹.

1-2- الإساءة للمقدسات الإسلامية: وردت الإساءة بالمعنى اللغوي في معجم المعاني

الجامع "بمعنى الأذى والشر، والإساءة مصدر الفعل أساء، أساء الشخص يعني أتى بالقبيح من قول وفعل، وأساء إليه إساءة كبيرة؛ ألحق به الضرر وأضر به، وأساء التعبير بمعنى لم يحسنه، وأساء الشيء بمعنى أفسده ولم يحسن عمله"¹².

والإساءة للمقدسات الإسلامية تعني التعرض بالسخرية والاستهزاء والإهانة المتعددة الأوجه للدين الإسلامي ومقدساته، سواء بالصور أو التعليقات أو الرسوم، وفي أي خطاب مكتوب أو مصور أو مسجل، والتي من شأنها أن تمس بخصوصية الدين الإسلامي ومقدساته منها الذات الإلهية، القرآن الكريم، النبي محمد ﷺ، شعائر الدين الإسلامي كالصلاة والصيام.....الخ.

1-3- تحقيق الإشباع النفسي للخصم (المسلم):

إن مفهوم الإشباع لغة "مأخوذ من الشبع، والشبع يدل على امتلاء في أكل وغيره، وامرأة شبعى الذراع من النساء هي ضخمتها، وثوب شبيع الغزل؛ أي كثير، وتشبع العقل أي وافر، والتشبع من يرى أنه شبعان، وهو يعني أيضا التوفية وبلوغ حد الكمال"¹³.

ويعتبر مصطلح الإشباع النفسي من المصطلحات التي اندرجت ضمن وسائل التأثير لوسائل الإعلام، فضمن مدخل الإشباع النفسي لوسائل الإعلام، توجه وسائل الإعلام الغربية خطابات تنتقيها وتعرض لها لخدمة أهدافه، بغية الوصول إلى نتائج يطلق عليها الإشباع النفسي للخصم، وذلك باستخدام وسائل إعلامية مليئة بالإشباع، من خلال التلاعب بالمفاهيم والمصطلحات التي تساعد في تحقيق هذا الإشباع.

والإشباع النفسي يتعلق بالحقل المعنوي للفرد، فهو من بين العمليات النفسية التي يلجأ إليها المغلوب على أمره لإبراز تفوقه على العدو، وخلق جو من الرضى النفسي عن الموقف، فعندما تتفوق الخطابات التي يديرها الغالب تفعل فعلتها في الضوابط النفسية في الفرد، فيقع تحت وطأة تأثير هذا الخطاب، أو ما يسمى بتطويع النفس وإقناعها عبر جرعات تؤدي في مجملها على إحداث شعور بالإشباع النفسي، الذي هو بمثابة حيلة دفاعية تعني في الحقيقة الاستسلام وانتصار الطرف الغالب.

2-1- إعادة تسويق الاسلاموفوبيا:

"الإسلاموفوبيا كلمة منحوتة من كلمة (الإسلام) عربية الأصل، ولاحقا (فوبيا) اللاتينية، وأصلها فوبوس التي تعني الرهاب أو الخوف، فعند إضافته لكلمة الإسلام يأتي المصطلح في إطار الرهاب والخوف من الإسلام، وهي مفردة مركبة حديثة"¹⁴.

إن مفهوم الإسلاموفوبيا في الحقيقة يقع تحت عدة تأويلات، فقد رسم الغرب صورة للإسلاموفوبيا وفقا لأيدولوجيته، يعرض فيها سلبياته المزعومة وعيوبه، "فالإسلاموفوبيا ظاهرة تعرف الإسلام على أنه دين إرهابي دموي، يسعى للقتل وسفك الدماء"¹⁵.

وقد أشار ستيفن شيهي بأن الإسلاموفوبيا عبارة عن تشكيل أيديولوجي جديد تم التعبير عنه باكتمال انخيار الاتحاد السوفياتي، وأصوله لا ترجع إلى الإدارة الأمريكية ولا لأحد المفكرين أو الفلاسفة أو مركز أبحاث، لكونهم كلهم مسؤولون بأسلوب جمعي عن نشر النمطيات الخبيثة المعادية للمسلمين لتطبيع هيمنة الولايات على الكوكب"¹⁶.

أما من وجهة نظر المسلمين فالإسلاموفوبيا هو خوف يمنع التواصل والتبادل والحوار، والذي يجعل من المسلم الشخص المسؤول عن كل عيوب المجتمع والعالم، وأن الإسلام مناقض للعقل، وهو يصطدم مع الإسهامات العلمية التي يقدمها العلم التجريبي بالذات"¹⁷. إن إعادة تسويق الإسلاموفوبيا أصبح بالتالي يتم وفق استراتيجيات مدروسة، بداياتها خطابات الإعلام بأيديولوجيات قديمة في لباس حديث (انتقاء المصطلحات)، ويتم تناوله بين وسائل الإعلام الغربية لإتحاف المستمع في كل مرة بجملة أو مصطلح هدفه إعادة تسويق الإسلاموفوبيا ولكن في ثوب جديد.

2- رؤية لماهية الإعلام الغربي (الطبيعة الازدواجية في الخطاب):

قيل في الإعلام "إنه يمثل نصف المعركة، وقد تحدث زاسورسكي عن ذلك عندما أشار إلى الإذاعة المرئية (التلفزيون) وتأثيره في المتلقي، فقال: "إنه يسعى إلى تشكيل قوالب جاهزة في سلوك الناس، وهذه القوالب الفكرية تنتشر في معظم وسائل الإعلام العالمية"¹⁸.

وبحكم الكفاءة والتقدم التكنولوجي والصناعي والعلمي والمعلوماتي الهائل، أصبح الإعلام العالمي إعلام غربي بامتياز، إذ أضحت الكثير من القضايا العالمية وخاصة القضايا العربية والإسلامية تنن تحت رحمة هذا الإعلام، حتى صارت من حيث ندرى ولا ندرى تنخر وتعبث وتحوّر وتخلخل هذه القضايا.

إن الإعلام الغربي أو ما يطلق عليه بـ "جنة الديمقراطية وحرية التعبير" في العالم، هو ذلك الإعلام الذي جعل من القضايا والأحداث بصفة عامة عبارة عن أزمات ومشاريع مستقبلية يحركها ويثيرها ويضخمها بعقلية غربية نمطية منحازة بامتياز.

وفي هذا الشأن أشارت ليلي حمدان¹⁹ إلى أنه وبمجرد الحديث عن الإعلام الغربي وخطاباته تتراءى إلى الأذهان المصادقية والحرية والتفاني في الإلتقان والتطوير وذروة السبق الصحفي (...)، لكن عندما تكشف الحقائق والمفاجآت من عمق بلاد الغرب ومن خارجها تتبدد هذه الصورة (...).، لتؤكد لنا بكل وعي وإدراك أن الإعلام الغربي ليس إلا حرب وسياسة في أيدي أرباب الحرب والسياسة الغربية (...).، إعلام يعتمد على الشكل والصورة والآداء، يعدد المفاهيم التعريفية والسياسية والثقافية والاجتماعية والدينية المعقدة، فيتوثر في خلق وتكوين الصور العامة المسيطرة في المجتمع فارضة التنميط العام للقضايا (...).، فحين يجعل هذا الإعلام النقد حقا وواجبا وتنزع القيود والأغلال في بسط الرؤى المختلفة بين المتناظرين في سباق الحرية في الرأي والارتقاء في فكر الإنسانية والبشر، ويوظفها في الأخير لإعادة صوغ العقلية والمفاهيم وطرائق التحليل، والنظر للأشياء بشكل يبعد عن العدالة والإنصاف وإن كان يلبس لبوسها.

وقد أشار الباحث المرزوقي علي الهادي في بحثه حول صورة الإسلام في الإعلام الغربي، "أن هذا الأخير ما فتئ يركز على المرأة والسود والأقليات، وتصوير المسلم على أنه إرهابي، غبي، جبان، مبذر، شاذ، في حين يتم التسويق للغربي على أنه أنيق، متعلم، شجاع، ذكي، حتى تكاد تصل هذه القوالب إلى أذهان الدماء على أنها أحكام ومعتقدات مطلقة، وهي حقائق لا تقبل النقاش"²⁰.

إن مثل هذه الرؤى لخطاب الإعلام الغربي كشفت عن ازدواجية في التعامل مع القضايا، "حيث كشف مقال للكاتب روبرت فيسك Robert Fisk نشر في صحيفة "الأنديبندنت" في 24 يوليو 2016م تحت عنوان "we love to talk of terror-but after the munich shooting this hypocritical catch-all term has finally caught us out"، عن بعد آخر للأخطاء التي وقعت فيها وسائل الإعلام الغربية، خاصة في تناوّلها للعمليات الإرهابية، وهو الازدواجية في تعريف مفهوم العمليات الإرهابية"²¹.

والأمثلة على ذلك عديدة، فهي تركز أكثر على الهجمات الإرهابية، فإذا كان المهاجم مسلما وصف بالإرهابي، وإذا كان المهاجم غير مسلم وصف بالمهاجم ووصفت العملية بـ "هجوم مسلح"، كما يغفل عن القضايا الهامة والجرائم التي ترتكب في حق الشعب الفلسطيني ويبرز حق اليهود في أرض فلسطين، وما يحدث في اليمن والانتهاكات الإنسانية، في حين لا تتعرض لما يحدث مثلا في فرنسا من مظاهرات للسترات الصفراء وتوجيه انتقاد لعنف الشرطة اتجاه المتظاهرين.

وقد توصل الخبراء المشاركون في ملتقى بسويسرا عن دور الإعلام والعلاقة بين الغرب والعالمين العربي والإسلامي إلى تأكيد انحراف الإعلام الغربي، بتركيزه على إظهار الصور السلبية عن الإسلام (...)، حيث أوضح كاي حافظ في وسائل الإعلام الألمانية بأن وسائل الإعلام الغربية تركز على قضايا تصف الإسلام ليس كدين بل كإيديولوجية سياسية أصولية، إرهاب، اضطهاد المرأة، تخلف اجتماعي كبير (...)، فعندما تركز وسائل الإعلام على العنف يجب الجمهور بكرهه للإسلام أو ما يسمى بالإسلاموفوبيا²².

إن الإعلام الغربي بصفة عامة وبلغة كاتب صهيوني لا يرى مبررا لبقاء العربي كائنا حيا على وجه الأرض.. حتى أنه وصف لغته الإنسانية بقوله: "اللغة العربية بنية وحشية-لغة الضاد-هي لغة صوت الإنسان الذي تتربص بالضحية، فهذه الدقة في اختيار الكلمات تعطي شكلا ماديا للمعنى الذي يحفز مكانه في الذاكرة ويستند على الرؤية البنيوية لتكوين العقل العربي"²³.

3- ازدواجية الخطاب الإعلامي الغربي اتجاه الإسلام ومقدساته:

يقول جوزيف اس-فريلينغهايسن جونيور Joseph Sherman Frelinghuysen, jr: «في عصر المعلومات النجاح ليس مجرد مسألة جيش من الذي فاز، وإنما خطاب من الذي فاز، والمعركة الراهنة ضد الإرهاب الإسلامي المتطرف ليس صدام حضارات، ولكنها حرب أهلية داخل الإسلام، والولايات المتحدة الأمريكية لا تستطيع الانتصار مالم ينتصر الإسلام المعتدل، في حين أننا نحتاج القوة الخشنة لقتال المتطرفين، فإننا نحتاج أيضا قوة الاجتذاب الناعمة لكسب عقول الأغلبية»²⁴.

إن المتتبع لخطابات الإعلام الغربي يدرك أيما إدراك للدور الذي تلعبه في تشويه صورة الإسلام ومقدساته، إسلام متطرف، أصولي، إرهابي، حيث أصبحت كلمة العرب والمسلمين مرادفة للإرهاب والتعصب، وذلك بإفراغ العديد من القضايا والأحداث والمواقف من المحتوى الحقيقي، فلا يكاد خطاب الإعلام الغربي ينهي برنامجا إلا وتعرض لمقدسات الإسلام بطريقة أو بأخرى، فأحيانا يتعرض للإسلام نفسه بوصفه بالدين الأصولي البربري المتطرف، وأحيانا يتعرض للشعائر الإسلامية بالاستهانة بها وتشويهها، " فقد نشرت صحيفة فولكسكرانت رسالة حملت عنوان " امنعوا القرآن"، كما

وصفه جيرت فليدرز بأنه كتاب فاشي"²⁵، كما تعرض النبي ﷺ للسخرية من خلال ما نشر وينشر من رسومات كاريكاتورية ساخرة، إذ وصف في جريدة افتون بلادت: "بأنه شخص مرتبك للغاية ومزاج يحب النساء وخصوصا الصغيرات منهن، حيث تزوج بفتاة لا يتعدى سنهما تسع سنوات"²⁶، كما استهزئ بالحجاب والنقاب بل يحضر ارتداؤه في المدارس وبعض الأماكن.

وقد صرح نيل بورتز Neal Borts مذيع مشهور بعدائه للإسلام: " إن المسلمين يشبهون الصراصير لأنهم يصومون في النهار ويأكلون في الليل، وقد وصف الإسلام بأنه فيروس مميت ينتشر في جميع أنحاء أوروبا والعالم الغربي، وسوف ننتظر طويلا جدا حتى نجد اللقاح لنكافحه"²⁷.

وفي عام 2005م نشرت صحيفة دانماركية رسوما مسيئة للرسول ﷺ مع رفضها الاعتذار بحجة حرية التعبير، كما أعادت صحف أخرى نرويجية وألمانية وبلجيكية وفرنسية وغيرها نشر ذات الرسوم وفي وقت متزامن دعما للصحيفة الدانماركية، وفي عام 2011م تكرر الأمر مع صحيفة فرنسية عندما أصدرت عددا خاصا بها يستهزئ بالإسلام وبالرسول ﷺ، وفي عام 2012م نشرت مرة أخرى رسوما مسيئة في شخصه، وفي 2013م نشرت إصدار خاصا وصفته بأنه الجزء الأول لسلسلة من الرسوم التي تصور حياة النبي ﷺ، ثم كررتها في بداية شهر سبتمبر من عام 2020م، كما تقرر إجراء مسابقة لرسم صورة مسيئة للنبي ﷺ في الدانمارك، تم على إثرها قيام قياديين في حزب يميني هولندي متطرف في إنتاج فيلم مسيء

لرَسُول ﷺ عام 2008م، وفي عام 2015م شهد حوادث حرق المصحف الشريف في إسبانيا وفرنسا وهولندا، كما شهد مسجد بجزيرة فرنسية محاولة لاقتحامه وتخريبه وحرق الكتب والمصاحف، وفي عام 2017م حصلت اعتداءات في يومين متتاليين على مركز إسلامي ومسجد مع تمزيق المصحف وإهانته، وفي عام 2019م أقدم أحد الأحزاب اليمينية المتطرفة بالدانمارك على إحراق المصحف احتجاجا على أداء صلاة الجمعة أمام البرلمان، كما حدثت حادثة حرق المصحف في السويد عام 2020م.

وفي خضم هذه المواقف- صور الإساءة للمقدسات الإسلامية-، تجد الإعلام الغربي يتسابق في إنزال المحللين والخبراء الذين يتناوبون على البرامج ، ويتسابق المراسلون لمكان الحدث لتضع المشاهد أمام الحدث، مع ما يحدث من فترة للمعلومات الحقيقية وتلاعب في المصطلحات إذ لديهم القدرة على قلب الطاولة بجعل الأبرياء مذنبين وجعل المذنبين أبرياء، وقد قال في هذا الشأن الكاتب الصحفي مجدي الدقاق: "إن الغرب ينظر إلينا بمنظارين الأول مصالحه(...)"، والثاني بما يراه هو ويريده لنا وليس ما نريده"، وبل ويتفنن متطرفو الخطاب الإعلامي باختراع الأذى للإسلام ولحد الساعة لم تطو صفحة هذه الإساءة، "والمسألة لم تتوقف بل وأخذت بعدا عالميا خطيرا حين اجتمع القس تيري جونز Terry Jones ونفر من زمرة للاحتفال بالعالم المتمدن" طقس غريب" لإحراق نسخ من القرآن الكريم، إذ تم الترويج له عبر صفحات الفيسبوك تحت اسم "اليوم العالمي لحرق القرآن الكريم"، كما أشار رئيس جمعية "مراسلون بلا حدود روبرت مينارد عن جريدة "بوستن الدانماركية إن الصحيفة علمت العالم درسا في حرية التعبير عن الرأي"²⁸.

إنه خطاب الإعلام الغربي المفتون بالازدواجية والتلاعب بالمواقف والأحداث، إنه منتهى الإسفاف في التعبير وتوليد المفاهيم المعادية للإسلام، يضع الأحداث في ميزان الانتقائية ، فيقل إنصاف الحقائق ، ويتم التضليل والتعتيم، وإطلاق تسميات وألقاب وفقا لتوجهاتهم، حتى جعلت من محاربة الإرهاب حجر الزاوية للهجوم على الإسلام تحت قاعدة مالا يتم الواجب به فهو واجب، وقد أشار الباحث العراقي إلى ذلك بقوله: "هذا ادعاء أكثر مما هو حقيقة والدليل أنهم يدافعون عن الإساءات المتواصلة للنبي ﷺ، ويدافعون عن يتعمد هذا الفعل، وفي

الوقت نفسه يغضبون حين يتعرض الرئيس إيمانويل ماكرون للسخرية²⁹، بل ولماذا لا يجرؤون على التحدث عن المحرقة اليهودية "الهولوكوست"، ومسألة معاداة السامية.

كما أشارت إلى ذلك سهام أشطو³⁰ في مقال لها عندما قال كريستيان فولف - رئيس ألمانيا الأسبق- جملته الشهيرة عام 2010م "الإسلام جزء من ألمانيا" هوجم من طرف الإعلام وألبس عمامة بيضاء في غلاف مجلة ألمانية، وفي صور أخرى ألبس طربوش أحمر وبجانبه سيف، وفي صور أخرى بلحية....، وظهرت هذه الصور في الصحافة والانترنت لأنه على ما يبدو قال جملة خطيرة ومرفوضة (...)، بغض النظر عن المعنى الحقيقي لهذه الجملة فإن الإعلام في نهاية المطاف هو من حدد في أي اتجاه فهم الجمهور الجملة وتفاعل معها، كذلك الأمر عندما أعادت انجيلا ميركل عام 2015م هذه الجملة الشهيرة انتقدت بشكل كبير، وصورت بحجاب وخلفية عليها علم تنظيم الدولة الإسلامية، وفي المقابل قامت بتكريم الرسام الدانماركي كيت فيستر غارد صاحب الرسوم الكاريكاتورية المسيئة للنبي محمد حين قالت لوسائل الإعلام: إن أوروبا هي المكان الذي يسمح فيه لرسام كاريكاتير برسم شيء كهذا.

كما أن الرئيس الفرنسي الأسبق ساركوزي شن حربا على الحجاب حين كان وزيرا للداخلية تحت ذريعة أن علمانية الدول تتناقض مع الرموز الدينية، في حين كان الطلاب ولعقود يتمتعون بحقهم في ارتداء الصلبان وقبعات الكيبا.

فلا عجب أن يختصرها نيكسون في قوله: "لا توجد لأي أمة في العالم ولا حتى في الصين صورة سلبية في الضمير الأمريكي مثل صورة العالم الإسلامي"³¹.

4- استراتيجيات ممارسة الازدواجية في الخطاب الإعلامي الغربي اتجاه ظاهرة الإساءة

للمقدسات الإسلامية:

إن الألة الإعلامية الغربية وخطاباتها في الوقت الحالي تحولت من آلة لنقل المعلومات إلى آلة لصناعة المعلومات وبلورتها وقولبتها وإعادة تشكيلها بكل احترافية ومهارة، خاصة مع توفر القالب التكنولوجي المتطور الذي أثخن في التأثير على عقول الكثيرين، ووضع خلفيات لأفكارهم وآرائهم تحت شعار "حرية التعبير"، فعندما يرى الناس اتساع مساحة الحرية في الإعلام الغربي سيلجؤون إليها على قناعة بأنها أكثر صحة ودقة وحيادية³².

وفي ظل ممارسة ازدواجية في الخطاب أنشأ الإعلام الغربي إعلام ناطق بعدة لغات منها اللغة العربية، أو ما يسمى مشروع مار يثال الفكري لإعادة تأهيل العرب والمسلمين. وقد أشار الكثير من المحللين والخبراء إلى أن خطابات الإعلام الغربي كثيرا ما تلجأ إلى استخدام معلومات بمصطلحات لغوية مختلفة يكون الهدف منها نشر الخوف لدى الرأي العام حتى يتلقى تأييدا لما يريد نشره، وذلك بالاستعانة بجيش من المحللين والمختصين من أصحاب الفرضيات والاحتمالات

كما يعتمد الإعلام الغربي في تقريب ازدواجية خطاباته للرأي العام بالاستعانة بالأقلام المهاجرة التي تبحث عن الشهرة والمال، "إذ يفتح لهم المجال لتقديم الخطابات، لم يكن أولها المفتون سلمان رشدي الكاتب البريطاني الهندي الأصل صاحب كتاب "آيات شيطانية"، والذي صرح بأن الأديان يجب أن تكون موضوعا للسخرية، ولن تكون الكاتبة البنغالية المولدة المرتدة عن الإسلام "تسليمة نسرين" آخر هؤلاء، حتى قال المستشرق ميسو كيمون في كتابه بعنوان "باثولوجيا الإسلام"، "إن الإسلام جذام فشا بين الناس وأخذ يفتك بهم فتكا ذريعا، وما قبر محمد بمكة إلا عمود كهربائي يبيث الجنون في رؤوس المسلمين، والواجب إبادة خمسهم، والحكم على الباقين بالأعمال الشاقة المؤبدة، وتدمير الكعبة، ووضع ضريح محمد في متحف اللوفر"³³.

5-أهداف ازدواجية الخطاب الإعلامي الغربي اتجاه ظاهرة الإساءة للمقدسات الإسلامية:

5-1-تحقيق الإشباع النفسي للخصم(المسلم):

يقول أحد الخبراء السياسيين: "يتضح لنا أن علماء النفس في منظمات الغرب الاستعمارية يعتقدون أن في حين انتهاك حرمة المقدسات الدينية للشعوب، وحين عدم تأثير اعتراضها بالنسبة لهذه الانتهاكات، في ذلك الوقت ستستسلم هذه الشعوب وسيتم ترويضها والتحكم بها كالشمع المذاب"³⁴.

إن ازدواجية في خطابات الإعلام الغربي اتجاه ظاهرة الإساءة للمقدسات الإسلامية واستراتيجياتها ووسائلها في تحقيق ذلك، وبحكم الروح الاستهلاكية لمجتمعاتنا، والاستسلام والانبهار بالموديل الإعلامي الغربي، وكذا تراجع الانتماء للهوية والاضطراب الاجتماعي سيؤدي

ذلك لامحالة إلى تكريس حالة نفسية للتعامل مع ازدواجية الإعلام الغربي تجاه ظاهرة الإساءة للمقدسات الإسلامية.

وقد صاغ جون مارتن³⁵ John Martin مفهوم الحرب الإعلامية النفسية إذ يرى أنه لا يمكن أن تخوض حربا شاملة إلا بالهجوم على عقول البشر وأجسادهم في وقت واحد، فكل فرد في الشرق الأوسط يجب أن يرى من خلال مشاكله الشخصية.

ولاشك أن الخطاب الإعلامي الغربي يمتلك في ذلك خططا مدروسة أسست لإحداث عمق نفسي لدى الخصم، والذي تلقفته الازدواجية في الخطاب، فأحيانا خطابات تقود إلى جس نبض الشارع الإسلامي والعربي (تقيس حرارة التدين)، فيعزف من خلالها على معزوفة حرية التعبير، وأحيانا تحاول جعل الإساءة للمقدسات الإسلامية وكأنها أمر طبيعي، إذ أضحي الإسلام في خطابات الإعلام الغربي بين دين الجهل والتكفير والقتل ودين الميوعة العقائدية على نحو تبديل التناقضات والتزييف بمقياس يثير غضب المسلمين على نحو يغلب عليه الطابع الانفعالي الوقتي. وبحكم احترافية الإعلام الغربي في ممارسة الازدواجية في الخطاب يجعل من البعض يعتقد أن الدفاع عن ظاهرة الإساءة للمقدسات الإسلامية تطرف في حد ذاته.

وليتسنى لنا فهم ذلك فإن الإساءة للمقدسات الإسلامية خاصة الإساءة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، والتي جاءت هادفة وفي سياق سلسلة من الإساءات، وهنا تظهر بوضوح ازدواجية الخطاب الإعلامي الغربي في خطابه وحتى لا يقف في خندق واحد أيدت الكثير من الصحف الأوروبية ما نشرته الصحف الدانماركية والفرنسية، وهذا في إطار تخفيف الضغط على هذه الدول تحت شعار "حماية حرية التعبير"، وفي نفس الوقت تشتيت جهود المسلمين في طريقة الرد (غياب الخصم الحقيقي)، وذلك محاولة لجعل جهود الرد لا فائدة منها والاقتناع بضرورة احترام حرية التعبير، ودليل ذلك ما قامت به بعض الدول الإسلامية من مقاطعة للمنتجات الدانماركية والفرنسية، في حين سعت هذه الدول لتفريق الإساءة وذلك بإعادة نشر الرسوم المسيئة للنبي محمد ﷺ من عدة صحف أوروبية، وبذلك تصبح مقاطعة الدول الأوروبية كلها مستحيلة.

وفي ذروة الغضب الشعبي الإسلامي نشرت صحيفة بريطانية صورة سمكة من نوع أرسكا، وتحمل على حراشفها لفظ الجلالة "الله"، واسم الرسول ﷺ "مُحَمَّد"، فهي لا تؤمن لا بالله ولا بالرسول، وإنما تلقى الطعم ليتلقفه السذج البسطاء، ويتخذوا من الخبر دليلا على إيمانهم، ثم يعملوا على نشره، فينشغل الرأي العام به، مما يفقدهم تركيزهم في القضية فتضعف قوتهم³⁶.

وقد أشار خالد الفتوح³⁷ إلى أن الأزمة (الإساءة للمقدسات الإسلامية) فتحت دعاوى الطابور الخامس (قاموس التآمر والمكيدة) الذي يعيش بيننا، والذي يروج زورا بأن الغرب تخلى عن كراهيته لنا (...). وقد أصبح الحوار الأسلوب المعتمد عنده (...). وقد أضاف الغرب إلى اعتماده القوة سبيلا لحل خلافاته وفرض رؤيته الحضارية علينا وعدم احترامه لديننا.

وفي هذا السياق أشار أيضا إلى أن الإعلام الغربي يتبع ازدواجية في خطاباته، فهو بذلك يهدف إلى ترويض الخصم بأقل قدر من التنازلات، مما يساعد في عدم معرفة الخصم المستهدف إلا بالخطاب الموجه له من جهة، ومن جهة أخرى جهل هذا الخصم بدلالات مفردات الخطاب الموجه له بدقة، وقد اتضح خلال هذه الأزمة التلاعب الإعلامي وعدم انتباه معظم المهتمين — وسط الفوضى والغوغائية — لفروق الألفاظ كالفرق بين الأسف والاعتذار، وبين الاعتذار عن الفعل وعن آثار الفعل ونتائجه، وبين سحب السفير واستدعاء السفير،، فالفرق مثلا بين الأسف والاعتذار فالأسف يكون عن أي فعل أو قول يحزن الإنسان أو يغضبه أو يتحسر منه، أما الاعتذار فهو طلب رفع اللوم والذنب، فهو يتضمن الاعتذار بالخطأ والذنب ويحمل في طياته المسؤولية عن الفعل والقول وقد تترتب عنه عقوبة.

من هنا يحدث الإشباع النفسي للخصم (المسلم)، إذ تساعد على إحساسه بنشوة نصر كاذب مما يخمّد حماسه، لأنه بلغ هدفه وأثنى في عدوه، رغم ما تناقلته وسائل الإعلام الغربي لتصريحات الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون عندما قالها صراحة: لن نتخلى عن الرسومات الكاريكاتورية وإن تقهقر البعض "فأين اعتذاره وأسفه".

إن مسألة الازدواجية في خطاب الإعلام الغربي تكيل بمكيالين للقضايا الإسلامية فهي إذن لن تمر مرور الكرام مادام الخصم قد بدأ يتلذذ هذه الإساءات، وذلك بتصدير ردات الفعل المبالغ فيها تجاه الإساءة للمقدسات الإسلامية من تهديد للأرواح لمواطنين غربيين حتى يفعل الإعلام

الغربي بذلك فعلته في تشوية الدين الإسلامي في عين المسلم بحد ذاته (زرع الشك في نفسه حول مبادئ عقيدته بوصفه دين بربري همجي)، وذلك بتحويل أنظارهم إلى الأعمال التي توصف بأنها إرهابية وتضع هذا الحدث في مرتبة الأحداث من الدرجة الأولى لتهدأ نبرة التصعيد دون جديد يقدم.

5-2- إعادة تسويق الإسلاموفوبيا:

رغم أن ظاهرة الإسلاموفوبيا في الحقيقة تعود بجذورها التاريخية إلى تاريخ قديم من العلاقات المضطربة بين الغرب والإسلام، فخطابات الإعلام الغربي لا تكاد تختلف عما كتب في القرن السابع وتكرر عبر قرون عديدة، إلا أن مصطلح الإسلاموفوبيا حديث نسبيا من حيث التداول المعرفي، بل وزادت خطورة استخداماته في الآونة الأخيرة، حتى أصبح يسوق في صور وأشكال استغلال للأحداث والأزمات الدولية التي زادت حدتها حاليا، بل وأصبحت ظاهرة الإسلاموفوبيا موضة تسوقها وسائل الإعلام الغربي والأوساط الثقافية الغربية التي تعمل على إشاعته في بناء مفاهيمي جديد للإسلام ومقدساته، خاصة وأن الإسلاموفوبيا وخطاب الإعلام الغربي مسألتان مترابطتان، لأنه في الحقيقة من إبداعات هذا الإعلام في حد ذاته.

إن تركيز الخطاب الإعلامي الغربي على ظاهرة الإسلاموفوبيا زاد من تسويق المخاوف المرضية من الإسلام، من حيث أنه يمثل خطرا على الحضارة الغربية حتى في عقر دارها، "إذ يتم تضخيم الأنا واستبعاد الآخر، ويستخدم الإعلام الغربي في ذلك مصطلحات مثل الفاشية الإسلامية، أسلمة أوروبا، الغزو الإسلامي، ففي سويسرا مثلا وأثناء إعلان الحملة المناهضة بحظر المآذن صممت المآذن في الإعلانات على هيئة صواريخ وبلون أسود، مما يسقط عليها دلالات مغايرة لأصلها ووظيفتها"³⁸.

وتحت وطأة الآلة الإعلامية الغربية وفي محاولة إعادة تسويق الإسلاموفوبيا أصبحت الفوبيا وصم للإسلام، حتى أنه لا يكاد يخلو عنوان في أبرز ما كتب عن الإسلام والغرب من الأصولية، الإرهاب، الكراهية، الصراع، الصدام،.... الخ، حتى أشار البعض إلى أن صناعة الإسلاموفوبيا وإعادة تسويقها أضحت صناعة شديدة الربحية، ومن ثمة يصبح الإبقاء على سرديّة الإسلاموفوبيا وتغذيتها المستمرة مهما للتربح.

إن تسويق الإسلاموفوبيا إذن يحتاج إلى خطابات إعلامية تكون محملة بالمفاهيم المزدوجة والمتناقضة والغامضة، كالجهادين الوسطيين، الأصوليين بعيدا كل البعد عن كل أشكال الدقة المعرفية والأكاديمية، ففي كل مرة تتحف المستمع بجملة أو تعبير يتسابق عليه الصحفيون، وقد أشارت ولاء سعيد السامرائي³⁹ في مقال لها إلى إحدى صحفيات قناة France 24 قبل حادثة مقتل أستاذ التاريخ في فرنسا عقب عرضه لصور مسيئة للنبي محمد ﷺ على تلامذته، أن هناك دليل فاضح على اعتبار الإسلاموفوبيا غير موجودة في فرنسا، وقد تمت تسمية الإساءة للإسلام بحرية التعبير .

فهي إذن صناعة ممنهجة ومهيكلية يتم إعادة تسويقها في كل مرة في أشكال متعددة، "حتى أن العديد من الدراسات حذرت من الأثر الذي ستتركه الإسلاموفوبيا بأشكالها المسوقة في صناعة المسلمين، فاستجابة المسلمين لهذا الطرح قد يولد تعريفا جديدا لحدود جماعتهم وهويتهم(...)"، قد ينتهي بنا فعليا إلى مسلمين بلا إسلام"⁴⁰، وقد يصبح المسلمون أنفسهم يشاركون في صناعة وتسويق الإسلاموفوبيا، "خاصة بعد أن أصبح يروج لظاهرة الإسلاموفوبيا بالإرهاب الإسلامي في خطابات بعض القيادات العربية في إطار أن الإسلام نفسه فيه تطرف، أو أن الإسلام نفسه سبب التطرف وأن نصوصا وأحكاما يجب تغييرها"⁴¹.

الخاتمة:

من خلال هذه الورقة البحثية، وبمنظرة فاحصة إلى فحوى خطابات الإعلام الغربي اتجاه ظاهرة الإساءة للمقدسات الإسلامية بين دفات الكتب، وبين صحف ومجلات وجرائد وتلفزيون وإذاعة وانترنت... الخ، والذي ولد لدى العالم الإسلامي من حيث يدري ولا يدري صورة واهية لنفسية تولد فيها شعور بالتقبل والاستسلام استساغها في شكل مقاومة وانتصار، تحت آلة إعلامية تعتمد بنية مفاهيمية مصطلحية تعبت بالدين الإسلامي ومقدساته في مضامين تدرج بوضوح لإعادة تسويق الإسلاموفوبيا في كل مرة.

وختام البحث ما صرح به المفكر الإيرلندي جورج برنارد شو George Bernard Show عندما قال: إن العالم أحوج ما يكون إلى رجل في تفكير مُجدِّ، هذا النبي الذي وضع دينه دائما موضع الاحترام والإجلال، فإنه أقوى دين على هضم جميع الديانات، خالد خلود

الأبد، وإني أرى كثيرا من بني قومي قد دخلوا هذا الدين على بينة، وسيجد هذا الدين مجاله الفسيح في القارة الأوروبية بعد هذه الحرب، وإذا أراد العالم النجاة من شروره فعليه بهذا الدين، إنه دين التعاون والسلام والعدالة في ظل شريعة محكمة لم تدع أمرا من أمور الدنيا إلا رسمته ووزنته بميزان لا يخطئ أبدا.

توصيات البحث:

إن قضية ازدواجية الخطاب الإعلامي الغربي اتجاه ظاهرة الإساءة للمقدسات الإسلامية ونتائجها وانعكاساتها، أصبحت اليوم قضية تتطلب حلولاً من قبل العالم الإسلامي حتى لا يبقى ديننا رهينة لهذا الخطاب الغوغائي تحت شعار حرية التعبير، وحتى لا نلقي المسؤولية على الآلة الإعلامية الغربية وأجندتها وحده لأن ذلك سيلغي مسؤوليتنا تجاه ديننا، ومن هذا الطرح رصدت الباحثتين مجموعة من التوصيات وهي:

❖ ضرورة الوعي بالمضامين الحقيقية - الخلفية - لخطاب الإعلام الغربي وتفكيك الازدواجية وتحليلها وتمحيصها وتوجيهها نحو التفكير البناء بدل استهلاك مفاهيم ومصطلحات لا تحدم إلا من يهندسها ويهيكلها.

❖ ضرورة استغلال الإعلام العربي والإسلامي لنصرة القضايا الإسلامية والعربية ونصرة الدين الإسلامي، بدل تشويهها بنشر الفن الهابط وتقليد الغرب - كيف يلبس وماذا يتناول - مع توجهه إلى تبني القضايا الحيوية للأمة الإسلامية وردها إلى أصولها بدل معالجتها معالجة علمانية، حتى لا نعطي للغرب السلبيات الكامنة فينا لاستغلالها ضدنا.

❖ ضرورة تكوين إعلام عربي إسلامي يكون في مستوى المواجهة، وذلك ببناء إعلام عصري يؤسس لخطاب معرفي إسلامي يشمل صناعة إعلامية للتعريف بالإسلام ومقدساته بشكل صحيح.

❖ تنمية المشاهدة الناقدة لدى المشاهد العربي والمسلم من شأنها تعميق فهم الأحداث لاستنباط مضامينها الصحيحة والخاطئة، مع التركيز على أهمية مؤسسات الدولة في ذاك كمدخل لحماية عقل ونفس الفرد العربي المسلم من الآلة الإعلامية الغربية.

المراجع:

1. القرآن الكريم.
2. ابن منظور: لسان العرب، باب العين مع اللام والميم، 3083/4، دار المعارف.
3. لويس معلوف: المنجد في اللغة والإعلام، (1992) بيروت، دار المشرق.
4. صالح بلعيد، "ضعف اللغة العربية في الجامعات الجزائرية جامعة تيزي وزو أنموذجا، الجزائر"، دار هومة للطباعة والنشر. (2009).
5. عبد الرزاق أحمد الشرقاوي، الصياغة اللغوية للخطاب الإعلامي، المنهل، (2020).
6. مُجَدّ السماك، الاستغلال الديني في الصراع السياسي، دار النفائس، لبنان، بيروت،. (2000).
7. محمود الشريف وآخرون، التوجهات الغربية نحو الإسلام السياسي في الشرق الأوسط، ط1، عمان، مركز دراسات الشرق الأوسط. (2000)
8. مدحت ماهر الليثي ومجموعة من المؤلفين، الجديد في حالة الإسلام والمسلمين في العالم (2010-2020) ما بعد الإسلاموفوبيا، القاهرة، مركز الحضارة للدراسات والبحوث، (2021).
9. فاطمة باحمان، فضائيات الإعلام وفوبيا الإسلام — دراسة تحليلية وصفية لمحتوى برنامج في فلك الممنوع" قناة France 24" أنموذجا، مذكرة مكملة لنيل شهادة ماستر تخصص صحافة مكتوبة، قسم علوم الإعلام والاتصال، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة أحمد دراية، أدرار، الجزائر. (2018).
10. المرزوقي علي الهادي صورة الإسلام في الإعلام الغربي، مجلة كلية التربية، ع7.
11. علي رمضان صالح: الإسلاموفوبيا في الفكر السياسي الغربي، مجلة تكريت للعلوم السياسية، ع11، (2017).
12. عمار طاهر، مُجَدّ إياد و مُجَدّ خزعل البنداوي، دور الخطاب الإعلامي بالقنوات الفضائية في تشكيل صورة العراق لدى الجمهور العربي، مجلة علوم الإعلام والاتصال، ع3، السنة2، (2019).

13. خالد أبو الفتوح (2015/01/15): الرسوم المسيئة والعقلية المتغترسة "هوامش على أزمة التحدي"، متوفرة على الموقع:
<https://albayan.co.uk/Article2.aspx?ID=4124>
14. سويس انفو، مُجد شريف ولوغانو (2007/03/22): اعترافات بانحراف الإعلام الغربي في حديثه عن الإسلام" مستجدات ورؤى سويسرية بعشر لغات، متوفر على الموقع:
<http://www.suissinfo.ch/ara>
15. سهام أشطو (2019/03/24): الإسلاموفوبيا أيادي الإعلام الغربي الملطخة في صناعة قاتلة، معهد الجزيرة للإعلام، مجلة الصحافة، متوفر على الموقع:
<https://institute.aljazeera.net>
16. عبد الرحمان السليمان، عبد الرحمان بودرع وعبد العزيز بن علي الحربي (2010/06/10): ما معنى الإسلاموفوبيا، مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية، الفتوى 454، متوفر على الموقع:
<http://www.m-a-arabia-com/site/13116.html>
17. عبد الرحمان بن سعيد الحازمي (2016/01/10): وقفات مع مصطلحات ازدواجية، الشخصية، السلوك، متوفر على الموقع:
<http://www.alukah.net>
18. عبد الرحمان جعفر الكناني (2018/11/28): العربي في منظور الإعلام الغربي، متوفر على الموقع:
<http://www.echouroukonline.com>
19. عصام زيدان (2007/11/21): الإساءة للمقدسات الإسلامية منهجية الغرب وأهدافه، متوفر على الموقع:
<http://www.alukah.net>
20. مُجد شيخ يوسف (2020/11/17): ازدواجية معايير " لماذا لا يجرم الغرب معاداة الإسلام"، متوفر على الموقع:
<https://www.alquds.co.uk>
21. مُجد عبد الكريم يوسف (2020/07/14): الخطاب المزدوج: استخدام اللغة لإخفاء الرسائل في الخطاب السياسي والعسكري والطبي، الحوار المتمدن، ع6618. متوفر على الموقع:
<http://www.ahewar.org>

22. ليلي حمدان (2016 /07/28): الإعلام الغربي بين النزاهة والعمالة، متوفرة على الموقع: <http://tibyan.com>
23. مطيع عبد السلام عزالدين السروري (2016/11/09): ما هو الخطاب Discourse وماهي الممارسات الخطائية Discursive practices متوفر على الموقع: www.alukah.net
24. موفق ملكاوي (2011 /05/27): إنهم يحرقون القرآن، متوفر على الموقع: <http://alghad.com>
25. ولاء سعيد السامرائي (2020/10/11): عندما يعاد تسويق الإسلاموفوبيا في فرنسا، متوفر على الموقع: <https://www.alaraby.co.uk>
26. ياسر سعد الدين (2019/09/21): الإساءة للإسلام ومواقف غربية رسمية، مقالات الجزيرة. متوفر على الموقع: <https://www.aljazeera.net>
27. معجم المعاني الجامع: متوفر على الموقع: <https://www.almaany.com>
28. مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة (2017/04 /19): لماذا تزايد الجدل حول تناول الإعلام الغربي، متوفر على الموقع: <http://futureuae.com>
29. الإسلاموفوبيا تطفو على سطح الإعلام الغربي من جديد، متوفر على الموقع: <https://alarab.co.uk>

الهوامش:

¹ سورة الأنعام (الآية 34).

² فاطمة باحمان (2018): فضائيات الإعلام وفوبيا الإسلام - دراسة تحليلية وصفية لمحتوى برنامج في فلك المنوع" قناة France 24 "أنموذجا، مذكرة مكملة لنيل شهادة ماستر تخصص صحافة مكتوبة، قسم علوم الإعلام والاتصال، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة أحمد دراية، أدرار، ص7.

- ³ محمد عبد الكريم يوسف (2020/07/14): الخطاب المزدوج: استخدام اللغة لإخفاء الرسائل في الخطاب السياسي والعسكري والطبي، الحوار المتمدن، ع6618. متوفر على الموقع: <http://www.ahewar.org> تمت زيارة الموقع في 2020/12/30م.
- ⁴ محمود الشريف وآخرون (2000): التوجهات الغربية نحو الإسلام السياسي في الشرق الأوسط، ط1، عمان، مركز دراسات الشرق الأوسط، ص8.
- ⁵ عبد الرحمان بن سعيد الحازمي (2016/01/10): وقفات مع مصطلحات الازدواجية، الشخصية، السلوك، متوفر على الموقع: <http://www.alukah.net> تمت زيارته في 2021/01/01م.
- ⁶ صالح بلعيد (2009): ضعف اللغة العربية في الجامعات الجزائرية - جامعة تيزي وزو أمودجا-، الجزائر، دار هومة للطباعة والنشر، ص62.
- ⁷ عمار طاهر، محمد إياد ومحمد خزل البنداوي (2019): دور الخطاب الإعلامي بالقنوات الفضائية في تشكيل صورة العراق لدى الجمهور العربي، مجلة علوم الإعلام والاتصال، ع3، السنة2.
- ⁸ مطيع عبد السلام عزالدين السروري (2016/11/09): ما هو الخطاب Discourse وماهي الممارسات الخطائية Discursive practices متوفر على الموقع: www.alukah.net تمت زيارته في 2020/12/30م.
- ⁹ ابن منظور: لسان العرب، باب العين مع اللام والميم، 3083/4، دار المعارف.
- ¹⁰ المرزوقي علي الهادي (2017): صورة الإسلام في الإعلام الغربي، مجلة كلية التربية، ع7.
- ¹¹ عبد الرزاق أحمد الشرقاوي (2020): الصياغة اللغوية للخطاب الإعلامي، المنهل، ص130.
- ¹² معجم المعاني الجامع: متوفر على الموقع: <https://www.almaany.com> تمت زيارته في: 2021/01/12م.
- ¹³ لويس معلوف (1992): المنجد في اللغة والإعلام، بيروت، دار المشرق، ص171-172.
- ¹⁴ عبد الرحمن السليمان، عبد الرحمن بودرع وعبد العزيز بن علي الحربي (2015/10/06): ما معنى الإسلاموفوبيا، مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية، الفتوى 454، متوفر على الموقع: <http://www.m-a-arabia-com/site/13116.html> تمت زيارته في 2021/01/16م.
- ¹⁵ علي رمضان صالح: الإسلاموفوبيا في الفكر السياسي الغربي، مجلة تكريت للعلوم السياسية، ع11، ص412.
- ¹⁶ علي رمضان صالح: مرجع نفسه، ص413.
- ¹⁷ علي رمضان صالح: المرجع نفسه، ص411.
- ¹⁸ المرزوقي علي الهادي: مرجع سابق.
- ¹⁹ ليلى حمدان (2016/07/28): الإعلام الغربي بين النزاهة والعمالة، متوفرة على الموقع: <http://tibyan.com> تمت زيارته في: 2021/01/11م.
- ²⁰ المرزوقي علي الهادي: مرجع سابق.
- ²¹ مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة (2017/04/19): لماذا تزايد الجدل حول تناول الإعلام الغربي، متوفر على الموقع: <http://futureuae.com>: تمت زيارته في: 2021/01/11م.

- ²² سويس انفو، محمد شريف ولوغانو (2007/03/22): اعترافات بانحراف الإعلام الغربي في حديثه عن الإسلام" مستجدات ورؤى سويسرية بعشر لغات، متوفر على الموقع: <http://www.suissinfo.ch/ara>. تمت زيارته في 2020/12/29م.
- ²³ عبد الرحمان جعفر الكناي (2018/11/28): العربي في منظور الإعلام الغربي، متوفر على الموقع: <http://www.echouroukonline.com> تمت زيارته في 2021/01/02م.
- ²⁴ فاطمة باحمان: مرجع سابق، ص ص 102 – 103.
- ²⁵ عصام زيدان (2007/11/21): الإساءة للمقدسات الإسلامية منهجية الغرب وأهدافه، متوفر على الموقع : <http://www.alukah.net> تمت زيارته في 2020/01/28م.
- ²⁶ عمر زيدان: المرجع نفسه.
- ²⁷ ياسر سعد الدين (2019/09/21): الإساءة للإسلام ومواقف غربية رسمية، مقالات الجزيرة. متوفر على الموقع: <https://www.aljazeera.net> تمت زيارته في 2021/01/15م.
- ²⁸ موفق ملكاوي (2011 /05/27): إنهم يحرقون القرآن، متوفر على الموقع: <http://alghad.com> تمت زيارته في: 2021/01/02م.
- ²⁹ محمد شيخ يوسف (2020/11/17): ازدواجية معايير " لماذا لا يجرم الغرب معاداة الإسلام"، متوفر على الموقع: <https://www.alquds.co.uk> تمت زيارته في: 2021/01/03م.
- ³⁰ سهام أشطو (2019/03/24): الإسلاموفوبيا أيادي الإعلام الغربي المملوطة في صناعة قاتلة، معهد الجزيرة للإعلام، مجلة الصحافة، متوفر على الموقع: <https://institute.aljazeera.net> . تمت زيارته في: 2021/01/12م.
- ³¹ محمد السماك(2000): الاستغلال الديني في الصراع السياسي، لبنان، بيروت، دار النفائس، ص112.
- ³² ليلي حمدان: مرجع سابق.
- ³³ عمر زيدان: مرجع سابق.
- ³⁴ الإسلاموفوبيا تطفو على سطح الإعلام الغربي من جديد، متوفر على الموقع: <https://alarab.co.uk> . تمت زيارته في 2020/12/27م.
- ³⁵ المرزوقي علي الهادي: مرجع سابق.
- ³⁶ خالد أبو الفتوح (2015/01/15): الرسوم المسيئة والعقيلة المتغطرة "هوامش على أزمة التحدي، متوفرة على الموقع: <https://albayan.co.uk/Article2.aspx?ID=4124> _ تمت زيارته في 2021/01/15م.
- ³⁷ خالد أبو الفتوح: مرجع نفسه.
- ³⁸ مدحت ماهر الليثي ومجموعة من المؤلفين (2021): الجديد في حالة الإسلام والمسلمين في العالم (2010 – 2020) ما بعد الإسلاموفوبيا، القاهرة، مركز الحضارة للدراسات والبحوث.
- ³⁹ ولاء سعيد السامرائي (2020/10/11): عندما يعاد تسويق الإسلاموفوبيا في فرنسا، متوفر على الموقع: <https://www.alaraby.co.uk> . تمت زيارته في: 2021/01/12م.
- ⁴⁰ مدحت ماهر الليثي: مرجع سابق، ص36.
- ⁴¹ مرجع نفسه، ص 16.

